اللغة العربية وآثارها وراء المحيط الأطلنطيكي

للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

ان صلة العرب عموما والمغاربة خصوصا بالقارة الامريكية ليست وليدة الكشف فى اخر القرن الخامس عشر الميلادي عما يسمى بالقارة الجديدة بل هي عريقة فى التاريخ تمتد جذورها الى ما قبل الميلاد فقد انتقل الفينيقيون الكنعانيون العرب من الشمال الافريقى بعد هدم القائد الرومانى (سيبيون) لمدينة «قرطاج» عام 146 ق. م. الى مناطق من المحيط الاطلنطيتى ادى بهم التطواف حولها طوال ثلاث سنوات للوصول الى امريكا الجنوبية حيث اسسوا مراكز تجارية تشهد الحفريات بوجودها بعد هذا التاريخ بقليل ، ويتجلى ذلك بصورة واضحة من الرخامة التى كشفها الدكتور البرازيلى السيد (الاديزلونيتو) (1) وهى تحمل تاريخ 125 ق.م. اي بعد احتلال الرومان لقرطاج عقب نزوح الفينيقيين عنها بنحو العشرين سنة وهى مكتوبة باللغة البونية Langue punique حيث توجد عشرات الالفاظ والتراكيب مفرغة فى قالب عربى مع تحريف لا يخفى حتى على غير

---

1) ضمنها الجزء الاول من كتابه (الانطروبولوجية) راجع ايضا مجلة « تقويم المنصور» للاستاذ توفيق المدنى (عدد 1343 هـ) حيث نشر صورة للرخامة وبحثا حول كشف الفينيقيين للبرازيل ، وكتابا حول وصول الفينيقيين الى (كولومبيا) لابراهيم هاجر صدر بالاسبانية فى (بونس ــ ايريس) بالارجنتين (مجلة المعرفة عدد 10 ــ دمشق) .

وذكر ابن الوردي فى جغرافيته انه يوجد وراء الجزر الخالدات جزائر عظيمة وصفها وصفا ينطبق على وصف بلاد امريكا . وابن الوردى عاش فى القرن الرابع عشر اى قبل كولمب بأكثر من مائة سنة (عبد القادر المغربى ــ محاضرات المجمع العلمى العربى بدمشق ج 2 ص 33) وقد لاحظ ان ابن عربى ذكر ان وراء المحيط الاطلنطيتى امما من بنى آدم وعمرانا وقد عاش قبل كولمب بثلاثة قرون (ص233). وتحدث صاحب (مسالك الابصار) نقلا عن شيخه الاصفهانى قبل كولمب بمائة وخمسين سنة عن احتمال

الاختصاصيين في فقه اللغة وعلم الاشتقاق (2) ، ومعلوم ان اللغة البونية تركزت في المنطقة في اعقاب انتشار الحضارة الفينيقية انطلاقا من مدينة «قرطاج» على طول ساحل الشمال الافريقي غربي البحر الابيض المتوسط (3) وقد بدأت البونية تختلف تدريجيا عن الفينيقية الكنعانية تحت تاثير اللهجات المحلية

اي البربرية التي تأثرت هي الاخرى بهجرة اهل اليمن من (حمير) في فترات متوالية خاصة بين مصادمة الاطلس الكبير وصنهاجة الاطلس الاوسط وكتامة السهول (4) .

وقد بدأت اللغة البونية تتوغل بعمق في ربوع المغرب الاقصى حوالى 480 ق.م. بعدما تسربت

وجود أرض وراء المحيط وقد توفى الاصفهاني عام 749 هـ — 1348 م .

a) — American B.C. by Prof. Barry Tell (1977).

b) — The Came Before Colombus : Africans in the New World by prof. Ivan Van Sertima (1977). Rutgers University
Prof. Tell - Harvard University

c) — Africa and the Discovery of America (3 volumes) by prof. Lee Viner (?) or Weiner (1923)

d) — Cauvet, les Berbères en Amérique, Alger 1930.

وهل يرجع اسم (برازيل) الى اسم القبيلة البربرية المسيلية بني برزل اول البرازلة الذين هاجروا من الجزائر في القرن العاشر الميلادي الى الاندلس ومنه ايام ملوك الطوائف الى امريكا — وذكر توفيق المدني انهم أول من اكتشف امريكا (اضواء على التاريخ الاسلامي في الجزائر — محاضرة نادي المؤتمر الاسلامي — القاهرة 1959 — المدخل الى الاسلام للدكتور محمد حميد الله ص 195 ط. باريس 1963) .

2) ففي الفترة الاولى جملة حررت بالبونية هي : « هنا احنا بني كنعان نرنم حقره حمل » يمكن نقلها الى عامية الشمال الافريقي كما يلي : « هنا احنا بني كنعان من فرانم حملنا الحقرة » ومعناها بالفصحى: «هنا نحن بني كنعان من فرانم تحملنا الاحتقار » وما زالت العامية المغربية تستعمل الى الآن كلمة (حقرة) بمعنى احتقار وكلمة (احنا) بمعنى نحن وكذلك في اقطار عربية اخرى كالعراق .

3) اوصل صديقنا المرحوم العلامة محمد المختار السوسي الالفاظ البربرية العربية الاصل الى ازيد من خمسة آلاف في دراسة مقارنة ما زالت مخطوطة وهي في معظمها كلمات ظاهرة المصدر العربي الجاهلي تندرج في ضروريات الحياة البدائية وتعتبر من ابرز مقومات اللغة في المجتمعات البشرية الناشئة كان البرابرة يستعملونها منذ اعرق العصور في مخاطباتهم اليومية (راجع كتابنا « تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث » — ط. القاهرة 1969 ص 26) .

4) انكر ابن خلدون نقلا عن (ابن حزم) عروبة هذه القبائل رغم اجماع نسابة العرب على ذلك مستندا الى أن مؤرخي مصر لم يشيروا الى مرور الحميريين من (دلتا) النيل وهي دعوى واهية ، لان المرور كان من الصحراء الجنوبية عن طريق (بحر القلزم) وهو ممر اقرب الى المغرب وكان مطروقا الى القرن الثالث الهجري حسب (ابن خرداذبه) ثم القرن العاشر حسب (الحسن بن محمد الوزان) (المعروف بليون الافريقي) الذي رافق احدى القوافل في هذه الطريق . ومظاهر الشبه والوحدة القائمة اليوم بين اليمن والمغرب تشهد بصحة ذلك خاصة في ميدان الموسيقى والرقص والهندسة المعمارية واللهجة وقد وردت على المغرب من (عمان) فرقة فلكلورية لهجتها قريبة جدا من (تشلحيت) وقد نشر المؤرخ الالماني Helfrit كتابا بعنوان : « البلاد بدون ظل Le pays sans ombre » ابرز فيه مجالي هذه الوحدة .

فلولها منذ عام 1101 ق. م. وهو تاريخ تأسيس مدينة (ليكسوس Lixus الفينيقية (5) وظلت البونيـة متغلغلة فى البادية المغربية ـ حسب تأكيدات الاسقف الافريقى (سان ـ اغسطين) Saint Augustin الى عهد الفتح الاسلامى فى حين اندرست لغة الرومان باندراس معالم الحضارة اللاتينية التى تطورت فى نطاق محدود لم يتجاوز مثلثا تمتد اضلاعه من طنجة الى وليلى الى شالة مع سلسلة من المدن الرومانية على طول شاطئه المحيط (6) . وقد اعاد التاريخ نفسه فكان (ابن رشد) الطبيب الفيلسوف (المتوفى عام 595 هـ / 1199 م) اول من تحدث عن القارة الجديدة فى (بلاط الموحدين) بمراكش ومنه انطلقت فكرة وجود ارض يابسة وراء المحيط . وقد اعترف (كريسطوف كولومب) نفسه (7) بانه لم يشعر بهذا الوجود الا بعد قراءة كتاب (الكليات) فى الطب لابن رشد « فى مخطوطته اللاتينية » على ان مجلة « نيوزويك » الامريكية (8) قد اكدت ان العرب انطلقوا قبل عام 1100 م (اي عام 494 هـ اي قبل (كريسطوف كولومب) باربعة قرون من « انفا » (أى الدار البيضاء الحالية) فرسوا فى عدة مواضع على الساحل الامريكى .

وقد حدثنا الشريف الادريسى فى نزهته عن « الفتية المغررين » الذين غامروا انطلاقا من « مرسى آسفى » فى ثبج المحيط ووصلوا الى بعض الجزر النائية كل ذلك انسياقا مع ما اشيع آنذاك خاصة بالاندلس من احتواء غرب « المحيط الاطلنطيكى » على جزر مكتنفة تستحيل فى نهاية المطاف الى ارض يابسة شاسعة .

وقد اقترن الكشف عن العالم الجديد آخر القرن الخامس عشر الميلادي (1492 م) بانتهاء الوجود العربى بالاندلس وطموح الاسبان الى التوسع المزدوج فى كل من امريكا وسواحل المغرب فى نطاق الحملة المعروفة بـ Reconquista ولم نستبن من خلال النصوص التاريخية التحاق الاندلسيين المطرودين من (شبه الجزيرة الايبيرية) من مسلمين ويهود بغير الاقطار العربية المتدة على ساحل البحر الابيض المتوسط بحيث يصعب العثور على اي اثر لهم فى القارة الامريكية فى هذه الفترة لان الاسبان تعقبوهم تقتيلا وتهجيرا فلم يسعهم الا ان ينساحوا علاوة على المغرب فى البلاد الاسلامية التى كانت آنذاك خاضعة للدولة العثمانية لا سيما بعد دخول سليمان القانونى الى الخليج العربى عام 1540 م / 947 هـ ومنازلة

---

5) تقع قرب «العرائش» وهى التى بنيت على انقاضها مدينة (تشمس) الاسلامية (راجع كتابنا « الفن المغربى » باللغتين العربية والفرنسية).

6) عاشت الجالية الرومانية ضمن هذه المدن فى قنص متقل بعيدة عن المجتمع البربري المحيط بها وقد اعترف بهذه الظاهرة مؤرخون غربيون دهشوا امام هذا التجاوب العميق بين الفينيقيين والمغاربة مما مهد للفتح الاسلامى بانتشار « لغة قريبة من العربية » قبل الميلاد بقرون.
(Siecles obscurs du Maghreb) par Gautier— (Mœurs et coutumes des Musulmans) par — Surdon

وذلك خلافا لما ذكره ابو سالم العياشى فى رحلته (ج 1 ص 53) من انه « لا عربية فى المغرب قبل الاسلام اتفاقا » فكلمة « قرطاج » مثلا اصلها (قربة حداش) (صحفت الى قرتاش بتعطيش الجيم) ومعناها القرية الحديثة بالنسبة لاول مدينة فينيقية اسست فى المنطقة وهى Utique فى نفس العلم الذي اسست فيه مدينة « ليكسوس » المغربية وكذلك « حنبعل Hannibal» اصله حن (من الحنين) وبعل اي نعمة الله وكان اسم ابيه هو « هاملكار » Hamilcar اي حامى القرية وهو الذي حارب الرومان فى صقلية.

7) اكد ذلك رونان فى كتابه : Renan - Averroes et l'Averroïsme, Paris 1923

8) فى (عدد ابريل 1960)

البرتغاليين الذين هزمهم المغرب عام 1578 م /986 هـ في « وادي المخازن » المعروفة بمعركة الملوك الثلاثة. فالاسبان قد انفردوا وحدهم اذن بالهجرة الى امريكا(9) الجنوبية بينما التحق الفرنسيون والانجليز بالجزء الشمالي من القارة ، وقد نقل الاسبان الى العالم الجديد حضارة الاندلس بما انطبع فيها من تقاليد عربية وخاصة التعابير التي تبلور هذه الحضارة والتي كان للغة الضاد الاثر العميق في وسمها وتكييفها الى اواخر القرن الماضي ، فقد ذكر بعض الباحثين ان المفردات العربية التي دخلت الى الاسبانية تقدر بربع محتويات القاموس الاسباني بينما دخلت الى البرتغالية ثلاثة آلاف كلمة عربية . وقد صنف الأب ساسا باتيستا الذي ولد في دمشق من أبوين عربيين قاموسا عام 1789 جمع فيه الكلمات التي اقتبستها البرتغال من العربية وهذا القاموس يقع في مائة وستين صحيفة كما الف « دوزي » و « انجلمان » قاموسا للكلمات الاسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية ، وتوجد في مكتبة « الاسكوريال » معاجم عربية يونانية وعربية لاتينية وعربية اسبانية صنفها علماء مسلمون . وقد كان للمغرب حظه في هذا التأثير اللغوي على الاندلس الذي استمر حكمه لها نحوا من ثلاثة قرون . اما البرتغاليون الذين عاشوا في المغرب فقد ذكر «شافروبيير» في كتابه « تاريخ المغرب » (ص 273) ان الجالية التي كانت بالمغرب في القرن السابع عشر كانت تتراسل بعربية حشوها تعابير مغربية وتكتب مراسلاتها بالحروف العربية .

وقد نقل دوزي عن صاحب كتاب « لوس . وزار ايبس دو طوليد » ان العربية ظلت اداة الثقافة و الفكر في اسبانيا الى عام 1570 ، ففي ناحية بلنسية استعملت بعض القرى الاسبانية العربية كلغة لها الى اوائل القرن التاسع عشر ، وقد جمع احد اساتذة جامعة مدريد 1151 عقدا في موضوع البيوع ، محررا بالعربية كنموذج للعقود التي كان الاسبان يستعملونها في الاندلس (10) . على ان البرتغاليين الذين عاشوا بالمغرب كانوا يرفدون الهجرة البرتغالية الى امريكا بعد ان تأثروا الى حد بعيد بلغة الضاد(11)

ومن جهة اخرى صار المغرب منذ اواخر القرن السادس عشر الميلادي (اي العاشر الهجري) حسن الاحدوثة ذائع الصيت في اوربا ، وخاصة انجلترا اثر انتصاره في معركة وادي المخازن مما حدا بريطانيا العظمى الى خطب ود السلطان احمد المنصور السعدي واقتراح احتلال مشترك لدومنيون الهند والمغامرة في قضية (انطونيو) المشهورة وقد بلغ هذا الصيت مبلغا رسم عن الانارتة في المغرب وصحرائه اروع الصور وامثلها مما حدا كبار رجالات

---

9) وقد شارك مغربي من مدينة ازمور في حملة « فلوريدا » Florida عام 1527 م ونجا منها مما فسح له مجال التجول عدة سنوات جنوبي الولايات المتحدة حيث التحق بمنطقة (اسبانيا الجديدة) . ويظهر ان بعض الصلات استوثقت بين جنوب المغرب وامريكا بعد اكتشافها بنحو ثلاثة عقود من السنين ذلك أن خبر جودة شمع منطقة (أسفي) وعسلها قد طرق سمع الناس في « المكسيك » و « أمريكا الوسطى » حوالي (عام 1524م) عن طريق راهب مسيحي عاش في (اسبانيا الجديدة) (وتوفي عام 1569) « مجلة هسبريس م 17 / 1933 ص 92 » .

10) راجع كتابنا « تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث » ــ ط. القاهرة 1969 ص 174ــ179 . ويقال بان البرتغاليين النازحين عن « البريجة » وهي مدينة « الجديدة » توجهوا الى « البرازيل » وأسسوا مدينة سموها « ملزاكان الجديدة » وماتزاغان هو الاسم القديم للجديدة) .

11) (راجع كتابنا « تاريخ المغرب » ج 2 ص 39) .

الفكر أمثال شكسبير (الذي توفى عام 1616 م) الى التغنى بهذه المثالية فى رواية « عطيل » المغربى Othelo التى كانت من آخر ما انتج من مسرحيات (عام 1604 م) وكانت عوامل القلق الوطنى قد حزت فى نفوس الانجليز كما تبلورت أخطاء انجلترا السياسية لا سيما فى آخر عهد الملكة اليزابيث Elisabeth (التى توفيت عام 1603 م) وشجعت احتلال فيرجنيا Virginie احدى الولايات المتحدة الامريكية ، وقد امسى لانجلترا ارتباط قوي بالمغرب ابان احتلالها لطنجة غير انها اضطرت تحت ضغوط المولى اسماعيل أن تجلو عن المنطقة لتحتل (جبل طارق) (عام 1117 هـ — 1705م) وكانت قد تبوات المقام الاول فى التبادل الاقتصادي مع المغرب طوال اربعين سنة ابتداء من 1688 م حيث توقفت العلاقات بين المغرب وفرنسا ، وقد واصل حفيد المولى اسماعيل السلطان سيدي محمد ابن عبد الله علاقاته الدولية مع الخارج فى اسلوب دولى جديد اعتبر بادرة قيمة فى التشريع المعاصر (12) وقد تجاوزت هذه العلاقات الصلات التقليدية الى الدول السكندنافية وانجلترا والولايات المتحدة الحديثة العهد بالتحرر فكان سلطان المغرب المولى محمد بن عبد الله هو أول من شجع الحركة التحريرية الامريكية حيث سارع قبل الجميع الى الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة وقد عقد قبل وفاته ببضع سنوات ، معاهدة تجارة وملاحة لمدة خمسين سنة مع الولايات المتحدة وهذه المعاهدة المؤرخة بـ 16 يوليوز 1786 م قد جددت عام 1836 م .

ولكن مما لا شك فيه ان الهجرات اليهودية الى امريكا قد توالت منذ النفى العام بالاندلس ، ولكن بصورة فردية كما تم ذلك منذ استقلال المغرب وتاسيس دويلة اسرائيل حيث هاجرت عائلات يهودية مغربية بكاملها الى كندا والولايات المتحدة وما زالت هذه العائلات تحتفظ بعاداتها المغربية وتستعمل لهجتها الدارجة فى احاديثها المنزلية .

وقد كان للغة العربية عبر العصور تاثير قوي من خلال عامية المغرب والاندلس على العبرية التى بدات تنتشر فى اوربا وامريكا مطعمة بالدخيل المغربى حيث لم يستطع رجالات الفكر اليهود من شراح « التلمود » فهم الكثير من نصوصه الا استعانة باللغة العربية . ودعما لهذه النظرية لا نرى مناصا من رسم صورة عن تطور هذا الرصيد منذ الفتح الاسلامى بالمغرب الى عصرنا الحاضر فاذا كانت النبطية والعبرية لهجتين من لهجات العرب القديمة كما يقول الاستاذ الكبير المرحوم عباس محمود العقاد فان الاسرائيليين قد طعموا بعد الاسلام كثيرا من المعطيات العبرية بعناصر عربية ، فمن المعلوم ان فلولا من اليهود قد دخلت الى المغرب مع البربر النازحين عن فلسطين ثم بعد ذلك بقرون ، عندما تم اجلاؤهم من الجزيرة العربية اثر وقعة (خيبر) ، وقد انضم عدد منهم الى الجيش العربى الفاتح بقيادة طارق بن زياد (13) خلال زحفه على الاندلس ، وتظاهروا فى عهد الادارسة العلويين بالحنين الى مسقط راسهم بالمشرق فتشبثوا برعويتهم للعباسيين تلك الرعوية التى لم تكن فى الواقع سوى مظهر

---

12) وصفه الاستاذ كاييى Caillé فى كتاب ضمنه مجموعة المعاهدات والوثائق التى ابرمها السلطان مع اوربا آنذاك ذاكرا ان السلطان سبق البرتغاليين الى وضع بعض مبادىء القانون الدولى والتشريعات الجديدة التى اصبحت اساسا للعلائق الامية فى القرن العشرين .

13) طوليدانو فى Ner Hamarp

للنفت فى عضد الدولة الاسلامية الناشئة بالمغرب وذلك رغم حماية الادارسة لليهود طوال قرنين (14) حيث انتقلوا الى فاس منذ اعتلاء المولى ادريس الثانى اريكة العرش المغربى عام 188 هـ — متواردين من القيروان ومصر وبابل وفارس ، وقد انبثقت فى القيروان قبل ذلك حركة فكرية تلمودية ما لبثت ان ازدهرت بفاس فى عهد المرابطين والموحدين وان كانت حركة التطهير التى قام بها المهدي بن تومرت وخلفاؤه قد شملت المسلمين والاسرائيليين على السواء عدا الجالية اليهودية بطنجة التى لم يقدر لها أن تخوض غمار الدسائس المرابطية مما يدل على ان القمع الموحدي قد اتسم بطابع سياسى لا اثر فيه لاي عامل دينى او سلالى ، وقد استوطن موسى بن ميمون صاحب « دليل الحائرين » مدينة فاس (15) التى « اصبحت — كما يقول البكري — (16) اكثر بلاد المغرب يهودا يختلفون منها الى جميع الآفاق ». وقد استعمل اليهود اللغة العربية فى كتاباتهم ومحاوراتهم منذ القرن الثالث الهجري فى مجموع افريقيا الشمالية (17) كما اصبح كتاب « سيبويه » فى النحو منطلقا لتجديد النحو العبري بفاس (18) منذ القرن الرابع .

وفى هذا العصر نبغ كثير من اليهود بالاندلس والمغرب كان لهم الفضل فى بعث اللسان العبري والدراسة التلمودية ودعم الحركة العلمية من خلال اللغة العربية فقد ظهر حوالى 960 م — 349 هـ ، عالم يهودي اندلسى هو « مناحم بن سروق » حاول ، فى معجم شهير معروف باسم « محبرت » ، الاعتناء بلغة (العهد القديم) فتصدى الحبر الفاسى (دونش بن لبرات) للدعوة الى فكرة جريئة هى وجوب العناية بالعربية والاستعانة بها فى فهم مصطلحات « العهد القديم » وضرب لذلك مثلا بنحو مائتى كلمة عبرية ما كان لاحبار التلمود ان يستكنهوا معانيها لولا رجوعهم الى اللغة العربية . وقد حدث منذ هذا العصر بفاس صراع بين انصار التعريب وخصومه (اي انصار تعريب العبرية) حيث نجد (ابا زكرياء يحيى بن داود حيوج الفاسى) يرحل الى قرطبة اوائل القرن الحادي عشر الميلادي للاقتباس من آراء مناحم المذكور ، وقد تزعم الحركة الهادفة الى احياء التراث العبرى فكان بحق المؤسس الاول لعلم « فقه اللغة العبرية » وقد استطاع بفضل ضلاعته فى اللغة العربية تركيز قواعد العبرية التى استكمل نقصها بالمصطلحات العربية (ابو الوليد مروان بن جناح القرطبى) المولود فى النصف الاول من القرن الحادي عشر والذي الف كتاب « التقريب والتسهيل » كما عالج القواعد العبرية فى كتابه « اللمع » واعتمد فى « كتاب الاصول » مؤلفات عربية كخصائص (ابن جنى) فى فلسفة اصول الكلمات وتخريجها التخريج اللغوي السليم . ومن آثار العربية فى اللسان العبري ما لاحظه (يهودا بن تبون) مثل كلمة « فاهم » التى اصبحت تختم بها الرسائل والكتب العبرية وصيغ عربية كمتفلسفة (متفلسفيها) ومتكلمين ، ولعل اول من وضع كتبا فى قواعد اللغة العبرية هم يهود العراق ، كما ان اول من وضع

---

14) كما اعترف بذلك حبر الجزائر الاكبر موريس ايزانبيث . Maurice Eisenbeth

15) حيث كان يسكن الدار المعروفة بدار المجانة حسب وثيقة يهودية عثر عليها بفاس يرجع تاريخها الى القرن الرابع عشر الميلادي . Chronique Semach p. 83

16) المسالك والممالك ص 115

17) تاريخ المغرب — كودار ج 2 ص 453 "Godard"

18) ماسينيون Massignon مجموعة البحوث والمحاضرات — مؤتمر مجمع اللغة العربية 1959— 1960 — ص 218

معجما لغويا عبريا هو الحاخام سعديا (19) الفيومى المصري (892 ــ 942 م) وقد لقت « يهودا بن قريش » صاحب كتاب « فقه اللغة المقارن » (Philologie comparée) يهود الشمال الافريقى الى وجوب المزيد من العناية بالعربية ، تعزيزا لفهم أسرار العبرية والعهد القديم ، ووضع قاموسا عبريا لم يصلنا ، بينما وضع معاصره « داود بن ابراهيم » الفاسى قاموسا سماه « أجرون » يحمل نفس الاسم ويتسم بنفس القيمة مع شرح بالعربية للالفاظ العبرية وكان «يهودا بن قريش » يستشهد فى مؤلفاته بالشعر العربى (20) كما سار ابن جناح وخلفه فى تصانيفهم على منوال اللغويين والنحاة العرب وقلد « الحريزي » مقامات « الحريري » فادخل فى الادب العبري فنا جديدا لم يكن لليهود به عهد ، وكذلك الامثال العربية ، وقد ترجمت اسرة « تبون » الى العبرية عديدا من الكتب العربية فى الفلسفة والطب والرياضيات والتصوف الشعبى ، أما « اسحاق بن يعقوب الكوهن الملقب بالفاسى » ، (الذي ولد عام 404 هـ ــ 1013 م) فى (تلمة ابن أحمد) قرب فاس وتوفى بالوسينة بالاندلس عام 497هـ (1103 م) فله شرح على التلمود فى عشرين مجلدا يعتبر لحد الآن من اهم كتب التشريع التلمودي وله ايضا ثلاثمائة وعشرون فتوى محررة كلها بالعربية وقد اسس بالوسينة قرب غرناطة عام 1089 م معهد للدروس العليا التلمودية كان الطلاب يؤمونه من كل الجهات .

وقد توافد على المغرب من الاندلس يهود كثيرون فرارا من اضطهاد رجال التفتيش المسيحيين فعززوا الحركة الفكرية العبرية والتلمودية والتحق بهم يهود آخرون طردوا من ايطاليا عام 1242 ومن انجلترا عام 1290 م ومن هولندا عام 1350 م ومن جنوب فرنسا عام 1395 م بالاضافة الى من هاجر منهم بعد النفى العام حيث انتقلت الى المغرب فلول اخرى من فرنسا وانجلترا عام 1403 م ومن اسبانيا عام 1492 ومن البرتغال عام 1496 م فانتشرت جاليات يهودية فى السهول والجبال والصحراء المغربية واستقرت عائلات اندلسية بكاملها فى ناحية دبدو (جنوبى غرب وجدة) وانسع فى فاس نطاق البيع والمدارس التلمودية (21) .

وقد ظل يهود المغرب يدرسون العربية ويكتبون بها على غرار يهود الاندلس حيث انتهى (يهود بن نسيم بن مالكا) الفيلسوف المغربى عام 1365 م من تاليف كتابه بالعربية « أنس الغريب » (22) وكذلك شيخ التعاليم بفاس (خلوف المغيلى) ، الذي نزل عنده ابو عبد الله الآبلى العبدري شيخ ابن خلدون قبل ان يرتحل الى ابن البناء بمراكش(23). تلك صور حية تبرز الدور الهام الذي قامت به المدارس اليهودية بالمغرب لتعزيز العلوم عامة والدراسات التلمودية خاصة من خلال اللغة العربية علاوة على دعم اللسان العبري باصول العربية وقواعدها ، ولا تزال لغة اليهود الى الآن فى الحواضر والبوادي المغربية هى العربية ، اعتراها ما اعترى العامية

---

19) أبو سعيد بن يوسف الذى يعتبر واضع الفلسفة اليهودية فى العصور الوسطى ، وقد صنف ترجمة عربية للعهد القديم واستكمل قانون الميراث اليهودي مستعينا بالشريعة الاسلامية .

20) « محاضرات من الادب العبري » للدكتور فؤاد حسنين على ــ طبعة الجامعة العربية 1963 ص 147 .

21) حسبما رواه مؤلف (Yahas Fes) بالنسبة لعام 1508 .

22) (458ــ402 ، 1952) (Hesperis) وعام 1365 م يوافق 5125 من السنة العبرية .

23) طبقات الشعرانى ج 2 ص 215 .

من تحريف كما يتجلى ذلك من نص حرره يهود مدينة « ميسور » الواقعة على « المـلـوية » بالصحراء المغربية قبيل منتصف القرن العشرين (24) هـذا مطلعه :

« هذا السلطان نمرود ما كانش يعرف الله ، على خاطر كان سلطان عظيم وقوي وامر علىالحكومة ديالو باش يكونوا يبايعو قدامو ويعبده ، على خاطر كان يقولهم هو الله ذي خلق الدنيا وكانوا الناس صاروا يعبده » .

واذا كان اليهود المغاربـة قد قاموا بدورهـم كصلة وصل مع اوربا نظرا لالمامهم بلغاتها وخاصة منها الاسبانية التى ظل المهاجرون الاندلسيون مـن الاسرائيليين يستعملونها الى آخر القرن الماضى (25) فان اسهامهم كان اقوى فى دعم العربية بالاندلس وفى التاثير فى مهاجرانهم بامريكا سواء منها الشمالية او الجنوبية . وبالاضافة الى العنصر الاسرائيلـى يوجد عنصر السود الذين هاجر معظمهم من القارة الافريقية ومن بينهم الصحراويون السمر الذين نقلوا معهم الى امريكا عادات المغرب ولهجاته ، والعنصر الزنجى فى الامريكتين يشكـل نسبـة هامـة فى المجموع حيث بلغ عام 1800 ضمن ثلاثة ملايين مهاجر الى امريكا الجنوبية حوالى الخمسين فى المائة بينما وصلت نسبة السود الذين هاجروا الى امريكا الشمالية (الانجلوسكسونيـة) ثلثا واحدا من المجموع (26).

ونعزز هذه النظرات التاريخية بلمحـة مـن مصطلحات(27) يغلب استعمالها فى المغرب ربما انتقل بعضها الى امريكا واثر فى اللسان الانجليزي الامريكى منهـا :

---

24) عام 1952 (Hesperis) ويلاحظ من قراءة هذاالنص ان اليهود يرخمون اداة الوصل (الذي) الى(ذي) بينما يرخمها المسلمون غالبا الى (اللى) .

25) لاحظ « لوطورنو » فى كتابه «فاس قبل الحماية» (ص 183) استعمالها الى عهد ملك المغرب مولانا الحسن الاول من طرف نساء بعض العائلات اليهودية وفى عام 1888 صدرت عن طبيب الجاليـة الاسرائيلية بفاس شهادة طبية بالاسبانية كما توفرت هذه الجالية عام 1903 على خمسـة اطباء (اسبانـى وتركـى وروسى وفرنسى والمانى) ، مما يدل على فسيفساء التاثير اللغوي بملاح فاس وباقى مدن المغرب .

26) قبل بضعة اعوام نشر الكاتب الامريكى الاسود (الاستاذ الكس هيلى Alex Haily) روايته الضخمة (جذور Roots) التى يروي فيها قصة وصول الجنس الاسود الى الـولايـات المتحدة الامريكية ممثلة فى قصة اختطاف تجار الرقيق لجد الكاتب الاكبر (كونتا كنتى Kunta Kunti) من قرية (جنـورا) الواقعة فى جمهوريـة غامبيـا فى غـرب افريقيـا ، ويذكـر الكـس هيلى الذي امضى اثنتى عشرة سنة فى البحث والتنقيب عن حقائق تلك القصة أن جده (كنتـا) ينحدر من عائلة موريطانية قدمت إلى تلك القرية لتعليمها أصول الدين الاسلامى ومعلوم أن (كنتا) مدينة موريطانية ينتمى اليها الشيخ المختـار الكنتى .

27) ان معظم الذين بحثوا اقتراض اللغات الاخرى من اللغة العربية صبوا جل اهتمامهم على المفردات التى اخذتها تلك اللغات من اللغة العربيـة الفصيحة فقط ، فى حين اننا نعلم ان الاقتراض اللغوي هو فى الاساس نتيجة للتمازج الحضاري والتبادل الثقافى والاقتصادي بين الشعوب ، وفى هذاالتمازج وذلك التبادل يكون للغات العامية المحكيـة نصيب كبير ودور فعال . ولهذا فان بحثنا يتنـاول بصورة رئيسـة الالفاظ العامية المغربية التى اقترضتها اللغة الانكليزية بطرق مختلفة .

ـ أبط بمعنى ساند abet

ـ عابد (عبود) abod, abbot

ـ ابز بصاحبه : معناها ظلمه وبغى عليه ومنها (بزمنه) اي بالرغم عنه abuse

ـ الطوب هو الآجر الشوي : (يغلب استعماله فى المغرب والاندلس) adobe

ـ عفريت afreet = afrit

ـ البرنس albornoz

ـ القبة alcove

ـ حلفا alfa

ـ الله Allah

ـ عنبر ambar

ـ انجر (مرساة) anclar

ـ اوباش apache

ـ الربع (وزن) arroba

ـ عتيق (عريق فى القدم) attic

ـ بردعة bard

بادئة زائدة للدلالة على الفعل (be مثل belittle)

ـ بسيج اي سيج الدار (اي يحيطها بسياج) besiege

ـ بودر (اضاع واربك فى العامية) bewilder

ومنها (الكلمة الفرنسية adirer)

ـ لوم blame

ـ البور (اراضى البور) boor

(مادة « بار » اي لم يستعمل كالبضائع البائرة ، والانسة البائرة التى لم تتزوج) .

ـ بوس (= قبلة) buse

ـ ازيز : غمغمة وطنين استحالت فى العامية المغربية الى بزيز (buzz)

ـ كعك cake

(وهو نوع من الفرنيات تصنع مدورة ومحشوة باللوز المكسر)

ـ خملة (نسيج من وبر الجمل) camlet

ـ قنت (الزاوية والركن بالدارجة المغربية) cant

ـ قب cap, cape

ـ قابلية (يقصد بها فى العامية المغربية الاستعداد للشيء) capability

ـ غراف (آنية يغرف فيها) carafe

ـ قط cat

ـ شنق (اصله شق) chink

ـ جلطة clot,

(يقال خلط جلط بالمغرب)

ـ قطران coal tar

ـ قفة (Couffin بالفرنسية) coffin

ـ قاطع (من قطع) cutter : (to cut)

(ويطلق فى العامية أيضا على نوع من المرض يكاد يقطع الاطراف من الالم لتشنج عصبها)

ـ دافع defend (to)

ـ دلى (وكذلك dangle) delve

ـ فلس false

ـ فز (اي فزع) ومنه استفزه feeze

(يقال فى العامية « مول الفز كيتفز » أي من اصيب بفز من التأثر او الالم)

ـ فتش اي بحث fetch (to)

ـ فرث (زبل) Filth

ـ فرن (الفران بالعامية) firring

ـ فنار (phare بالفرنسية) flare

ـ فلق (سوط للضرب يستخدم كثيرا فى الكتاتيب لمعاقبة التلاميذ)

ـ فلق = ضرب بالسوط flog

ـ نور (اي ضوء) flor (lueur)

ـ نور (نوار بالدارجة) flower

— جمد واوقف jam (jamed)

— ياسميـــن jessamine

— جمجم (كمكم ايضا) jimjam

— الكيف (اسم الحشيـــش المخـــدر kef بالعامية)

— قنديل (بالفرنسية chandelle) kindle

— قسمة (تستعمل بكثرة بدل نصيب) kismet

— كحل (اثمد antimoine) kohl

— بلـــد land

— لعق (لحس) lick

— ليمون (limon) lemon lime

(هو المعروف بالليم فى المغرب) (وهو الليمون الصغير) .

— لاطه سهم اصابه او خربه loot (to)

— عـــود (luth بالفرنسية) lute

— مخزن magazine

(بالفرنسية magasin)

(وهى الكلمة السائدة بالمـــغـــرب والاندلس للتعبير عن مكان الخزن ويعبر بها فى الانجليزية عـــن المري لخزن السلاح او مواد الغذاء او التجهيز كما تطلق على الدورية لخزن الاخبار وهى عـــبارة عـــن الجريدة او المجلة الدورية)

— مرابـــط (يطلق فى المغـــرب marabout والاندلس على الصوفى او المريد الزاهد)

— مارد (بمعنى نهاب وخطاف) marauder (maraudeur)

— مشى (بالفرنسية marcher) march (to)

— مصطبة : مكان للجلوس قليل الارتفاع مـــن الارض Mastaba

(كلمة كثيرة الاستعمال وخاصة فى الكتاتيـــب القرآنية حيث تخصص للتلاميذ النجباء)

— معنـــى meaning

— مرين (بنو) merino

(ناحية نجيج بالمغرب هى مركز زناتة من بنى مرين وفيها الاصواف الناعمة ويطلـــق لفـــظ merinos على الغنم الناعم الصوف)

— غالى (غل) اي اغاظ واهان gall

— غربل (كثير الاستعمال بالمغرب) garble (منخل بالشرق)

— جنة (يستعمل بالمغرب الجمع وهو جنان) garden (جنينة فى الشرق)

(لا يقال حديقة فى المغرب كما يقال ذلـــك فى الشـــرق)

— غرغر (بالفرنسية gargariser) gargle

— الغـــول ghoul

— كاس glass

— الزليجـــى (حسب صاحب نفح الطيب بدل الزليج) glazed

— ظـــلام = ظلمة gloom

— قدما (الى الامام) (يقال قـــود بالكاف المعقوفة كما ينطق بها الانجليزي ومعناها : جميل ومستقيم)

— وز (اوز) goose

— قايد (باللغتين الفرنسية والانجليزية) guide

— قرقـــر gurgle

— احرش (أجش وخشن) harsh

— الزهر بالعامية معناه الحظ hasard ومنه تسمية لعب النرد بالزهر اي المخاطـــرة على الحظ

— هـــوى hew (abattre)

— اسكـــت hist

— حوض (حوض بالدارجة) hod

— حوريـــة houri

— هول (عاصفة هوجاء) howl

— همهـــم Hum

— عطل (عن العمل) idle (to)

— ابله (باللغتيـــن الانجليزيـــة والفرنسية) (بهل او بهلول ايضا) imbécile

— رز (أي ارز) (riz بالفرنسية) rice

— الروكسي(بمعناها الثاني المحتال بالعامية) rogue, roquish

— رطل rotl

— سلوكي (كلب للقنص) saluki

— سطل (دلو) scuttle

— حشمة (حشومة بالعامية) shame

— شكال (غل وصفد وقيد) shanckle

— سقوط shut (chute)

— سياج (حصار) siège

— سلك (خيط من حرير) silk

— صنارة (صنارة اي احبولة ومنها صنارة الصيد) snare

— صبة (حساء في المغرب) soup

— سفود spit

— ستف (صنف وصفف) Stow

— سكر (كان السكر المغربي المصفى يصدر بعد القرن العاشر الهجري الى انجلترا التي كان بلاطها ينافس البلاط الفرنسي في اقتنائه) sugar

— صف (صنف) swa (to)

— صفي swab (to)

— نطق (طنق) talk
منها طلاقة اللسان

— الطرحة (الوزن الفارغ الذي يطرح من الميزان) ذيل (ذنب)

— تعريفة (tarif بالفرنسية) tariff

— طاسة tazza

— الدراس (درس الحنطة) thrash

— طارد (الكلمة مستعملة بكثرة في العامية المغربية) tread (to)

— مثال mettle

— مليط من لا شعر له (يقال املط بالعامية) (molt)

— مونة (مال) money (munition)

— المر (الحبل) moor
(amarrer بالفرنسية)

— مسك musk

— مسطرة بمعنى عينة يقال له مشترة بالعامية (muster)

— مثل (شوه) (الكلمة الفصحى هي المستعملة بالمغرب) mutile (to) (mutiler بالفرنسية)

— مستور mystry

(بالفرنسية mystère) mystère

— ناقة (تطلق على الفرس) nag

— ناب (سن) neb

— ناعورة (كثيرة الاستعمال بالمغرب والاندلس (باللغتين الانجليزية والفرنسية) noria

— واحة (كثرة الواحات في الصحراء المغربية) oasis

— قصيدة ode

— قلة (جرة) olla

— بلوطة كرة بيضوية الشكل مثل البلوط ومنها في العامية بلوطة العين التي لها نفس الشكل pelota

— بس (كلمة يدعى بها الطفل بالمغرب ليبول) piss (to)

— يفور (يتدفق) poor
(كثيرة الاستعمال ومنها الفوارات اي المياه الفائرة المتدفقة)

— ربلة بالعامية (معناها الاضطراب والحشد الفوضائي اي الفتنة) rabble

— رباب (هذه الآلة تعرف خاصة بالمغرب والاندلس) rebec

— وهن — ونى فهو وان اي ضعيف wan, wane

— ورد weird

— وهم whim

— توأم twin

— وادي (ومنها wade اي سار او جرى فى الماء) ومعناه فى الحقيقة vallée وهو المكان الذي يجرى فيه النهر وهو الاستعمال السائد فى العامية المغربية . wadi

— ويل (بمعنى النوح والانتحاب والعويل) wail (to)